

ملخص: بين الموارد المائية بمختلف أشكالها وأحجامها، وبين الاستقرار ونشأة التجمعات العمرانية، واستخلاص ما يمكن أن تجود به خدمة لإشكاليتنا البحثية؛ ولقد فرضت طبيعة الموضوع من جهة، وسياسة عسكرية متنافرة قلما اتسمت بالهدنة، وتتنوع أنماط العيش كما تشير مجموعة من المصادر التاريخية إلى الدور الكبير الذي لعبه مجال نون لمطة في عهد المرابطين. ساهمت في خلق نمط سياسي، واد جعفر، وإدوان وادوعان وغيرهم من القبائل التي لازالت بقائهاها في المنطقة. كما كان مصدر توثر وحروب وصراعات بين مكونات القبيلة من جهة والقبائل المجاورة من جهة أخرى. ومدينة نول إحدى مدن الإسلام، فإن عينا "تالِّمَاط"، وفي هذا الإطار سنحاول ان نركز على عين تجانات بوابة تغمرت نظراً لتوفرنا على بعض الوثائق التي ستساعدنا على فهم وتحليل العلاقة بين الموارد المائية؛ وبعض التوترات التي نشبت بسبب الماء. تختزل عين تجانات بوابة تغمرت مخزون مائي ظل يسقي مساحات مهمة من الأراضي لقرون عديدة قبل أن يعرف في السنوات الأخيرة نقصاً مهولاً في كمية المياه النابعة من هذه العين، أهمية الماء ودوره في تنظيم العلاقات بين الإنسان والمجال فالسد التحويلي الأول لازال محافظاً على معالمه القديمة<sup>1</sup> (الصورة رقم 1)؛ سواء مياه العين أو مياه الأمطار. مما جعل السكان بمساعدة المصالح الخارجية لبعض القطاعات بتعويضها ببنية جدار اسموني (الصورة 2) ساهم ولو بشكل قليل من الرفع من قوة التحمل. وهذا العرف في المنطقة غالباً ما يلجأون إليه في كل التقسيمات سواء بين القبائل، حيث تقسم مياه العين بين ثلاثة قبائل هم: أيت مسعود، شكل رقم 2: واحات قبائل تغمرت بينما تبلغ مدة السلطة بالنهار نفس العدد من الدقائق وتطول المدة وتقصير حسب طول النهار أو قصره كذلك. أيت حماد وأيت بكو. والراجح أن هذا التقسيم مبني على مؤشرات دقيقة متوقفة عليها كالاعتبارات الديموغرافية ونسبة المساحة المنسقة من المشاريات داخل المجال الواحي بالإضافة للقرارات العسكرية والاقتصادية لكل قبيلة، إن العمل البيبليوغرافي والإشارات التاريخية المرتبطة بالموضوع بالإضافة إلى المعطيات الميدانية التي سمحـت لنا بعض المقابلات بتقصيـتها تشير إلى وجود حقبتين أو أكثر لمسألة قسمة مياه عين تجانـت فالحـصـنـ القـديـمـ يـبـدوـ بـأنـهـ مـتوـارـثـ، وـمـنـ خـلـالـ ذـلـكـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ نـحـدـدـ التـارـيـخـ التـقـريـبـيـ لـآخـرـ تـقـسـيمـ لـحـصـنـ مـيـاهـ هـذـهـ الـعـيـنـ يـحـيـلـنـاـ عـلـىـ التـارـيـخـ التـقـريـبـيـ الـذـيـ عـاـشـ فـيـ هـؤـلـاءـ، فـهـمـ أـجـادـ لـعـائـلـاتـ مـنـ قـبـيلـةـ أـيـتـ مـسـعـودـ مـعـرـوـفـ مـعـرـفـةـ الـآنـ؛ رـبـماـ يـكـوـنـ قـدـ أـبـقـىـ عـلـىـ نـظـامـ السـقـيـ كـمـاـ هـوـ بـشـكـلـ الـبـدـائـيـ، رـبـماـ تـكـوـنـ كـلـ هـذـهـ الـعـوـامـلـ وـالـمـتـغـيرـاتـ السـوسـيـمـجـالـيـةـ قـدـ حـتـمـ عـلـىـ قـبـائـلـ أـيـتـ بـلـ الـوـافـدـةـ وـالـجـيـرانـ الـأـمـازـيـغـ إـعادـةـ التـقـسـيمـ وـفـقـ خـرـيـطـةـ جـديـدـةـ يـتـمـ بـمـوجـبـهاـ تقـسـيمـ الـمـيـاهـ عـلـىـ أـسـاسـ تـوزـيعـ بـعـضـ الـحـصـنـ الـقـديـمـ بـيـنـ الـمـالـكـ الـجـدـ، التـقـنيـاتـ وـالـأـعـرـافـ الـمـنـظـمـةـ لـلـسـقـيـ بـعـينـ تـجـانـتـ : الـيـةـ حـقـيقـيـةـ لـتـدـبـirـ الـخـلـافـاتـ وـالـتـوـرـاتـ الـدـاخـلـيـةـ إـنـ الـمـاءـ بـقـدـرـ مـاـ شـكـلـ عـاـمـلـ اـسـتـقـارـ، يـجـبـ تـدـبـirـهـ بـشـكـلـ يـرـاعـيـ حـقـوقـ الـمـسـتـفـidiـنـ (ـ2003 Lamraniـ) وهذا يؤسس لمجلس أيت أربعين إطار تنظيمي، السواقي وحدات لضمان الحكامة المائية وتدبير الخلافات: سواء تعلق الأمر بعمليات استصلاح السواقي أو مراقبة العيون المائية وتنقيتها حتى مجرى العين، اجتماعية: تتألف من أعيان القبائل الثلاث وتقصر مهمتها في تحديد المستفيدين والاتفاق على عرف نظام السقي وتعيين مجلس أيت أربعين الخاص بالساقيه. أمين الساقية: يتولى الاحتفاظ بـ"السلطـةـ" الأصلـيـةـ الكـبـيرـةـ، وقد سمـيتـ الـحـصـنـ المـقـسـمـ عـلـىـ أـرـبـعـ مـسـتـفـidiـنـ بنـوبـةـ "أمـ لـربـيعـ" وـتـتـخـذـ الـنـوـبـاتـ أـسـمـاءـ الـعـائـلـاتـ وـالـأـفـرـادـ الـذـينـ سـاـهـمـواـ فـيـ اـسـتـخـرـاجـ الـعـيـنـ وـيـمـكـنـ إـضـافـةـ نـوـبـاتـ تمـ التـصـدـيقـ بـهـاـ عـلـىـ الـمـسـجـدـ وـبـعـضـ الـمـرـابـطـينـ وـأـخـرـيـ لـلـفـرـسـانـ الـمـدـافـيـنـ عـنـ الـحـمـيـ .ـ نـظـامـ ضـبـطـ الـامـنـ الـمـائـيـ وـالـاستـغـالـلـ الـمـعـقـلـنـ لـتـدـبـirـ الـمـيـاهـ:ـ منـ أـجـلـ الـحـفـاظـ عـلـىـ سـيـرـورـةـ الـانـظـمـةـ الـمـائـيـ كـعـامـلـ اـسـاسـيـ لـلـحـيـاةـ بـهـذـهـ الـواـحـاتـ الشـبـهـ صـحـراـوـيـةـ؛ـ وـتـسـنـ "اجـمـاعـةـ"ـ هـذـهـ الـأـعـرـافـ وـتـعـيـنـ مـقـدـميـ وأـعـضـاءـ مـؤـسـسـةـ أـيـتـ أـرـبـعـينـ لـتـنـفـيـذـ هـذـهـ الـقـرـارـاتـ وـإـعـمـالـهـ بـقـوـةـ الـسـلاحـ دـوـنـ هـوـادـةـ.ـ فـيـ هـذـاـ الـإـطـارـ نـوـرـ نـمـوذـجـاـ مـنـ الـوـثـائقـ الـتـيـ تـتـضـمـنـ اـعـرـافـ السـاقـيـةـ الشـكـلـ رقمـ 3ـ:ـ نـمـوذـجـ لـوـثـائقـ اـعـرـافـ السـاقـيـةـ مـنـ طـرـفـ مـلـازـمـيـ مـسـاجـدـ هـذـهـ الـقـبـائـلـ،ـ وـمـنـ نـمـاذـجـ الـأـعـرـافـ تـتـضـمـنـ اـعـرـافـ السـاقـيـةـ الشـكـلـ رقمـ 4ـ:ـ نـمـوذـجـ لـلـاتـفـاقـاتـ الـمـائـيـ بـيـنـ الـقـبـائـلـ الـمـنـظـمـةـ لـلـسـواـقيـ نـوـرـ هـذـهـ الـأـعـرـافـ الـمـسـتـقـاةـ مـنـ دـيـوـانـ قـبـيلـةـ أـيـتـ مـسـعـودـ:ـ الشـكـلـ رقمـ 4ـ:ـ نـمـوذـجـ لـلـاتـفـاقـاتـ الـمـائـيـ بـيـنـ الـقـبـائـلـ وـكـانـتـ تـسـنـ لـهـ قـوـانـينـ خـاصـةـ بـإـسـمـ:ـ "أـيـتـ أـرـبـعـينـ تـجـانـتـ"ـ كـمـاـ هـوـ مـبـيـنـ فـيـ الـوـثـيقـةـ رقمـ (4)ـ الـتـيـ هـيـ عـبـارـةـ عـنـ اـتـفـاقـيـةـ عـامـةـ بـيـنـ أـيـتـ بـكـوـ وـأـيـتـ مـسـعـودـ لـتـسـيـرـ مـيـاهـ الـعـيـنـ وـمـنـ الفـتـنـةـ عـنـ مـفـرـقـ السـواـقيـ "ـسـقـاستـ"ـ وـمـنـ حـصـرـ الـمـاءـ،ـ وـيـعـتـبـرـ هـذـانـ الـبـنـدانـ أـسـاسـيـانـ فـيـ كـلـ الـاـتـفـاقـيـاتـ الـبـيـنـيـةـ لـلـقـبـائـلـ الـمـتـجـاوـرـةـ وـالـمـشـتـرـكـةـ فـيـ مـيـاهـ الـعـيـنـ.ـ فـالـمـاءـ لـهـ اـحـكـامـ وـلـهـ مـقـتضـيـاتـ وـاـتـفـاقـيـاتـ.ـ كـمـ تـوـاـتـرـ عـنـ بـعـضـ اـهـلـ الـمـغـرـبـ قـوـلـهـ:ـ اـذـ رـأـيـتـ قـوـماـ يـتـخـاصـمـونـ وـقـدـ عـلـاـ بـيـنـهـمـ الـكـلـامـ،ـ حـيـثـ كـانـتـ الـثـروـاتـ الـمـائـيـ بـوـادـ وـارـ[ـلـونـ]ـ بـتـغـرـيـتـ حـاضـرـةـ بـشـكـلـ كـبـيرـ كـنـماـذـجـ مـنـ صـورـ وـأـسـالـيـبـ وـمـنـاـوـشـاتـ وـحـرـوبـ الـتـيـ اـعـتـمـدـتـ فـيـهـاـ مـصـادـرـ الـمـيـاهـ سـلاـحـاـ وـأـدـاءـ فـيـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ الـقـتـالـ وـفـيـ الـتـوـرـاتـ الـتـيـ تـسـبـبـتـ فـيـ حـرـوبـ أـهـلـيـةـ لـفـرـاتـ كـثـيرـةـ وـمـتـفـاـوـتـةـ.ـ اوـ دـفـعـهـ إـلـىـ تـغـيـيرـ اوـ تـعـدـيلـ اـسـتـرـاتـيـجـيـتـهـ اوـ خـطـهـ،ـ وـيـقـدـرـ مـاـ كـانـتـ قـبـائـلـ أـيـتـ بـلـ مـتـحدـةـ تـحـاـهـ الـاعـتـدـاءـاتـ الـخـارـجـيـةـ؛ـ شـكـلـ رقمـ 5ـ:ـ تـحـكـيمـ سـلـطـانـ،ـ لـايـقـافـ الـتـوـرـاتـ بـيـنـ الـقـبـائـلـ